عيد الغطاس

والدروس المستفادة

مقدمة

عيد الغطاس هو أحد الأعياد السيدية الكبري ويعد في المرتبة الثالثة حيث يسبقه في الأهمية عيد القيامة وعيد الميلاد . ونحن نحتفل بالعيد ليلاً تكريماً وابتهاجاً بهذا العيد، ولكي يحتفل به كل الشعب فهذا ترتيب كنسي وليس له علاقة بتاريخ الغطاس الذي ولابد أن يكون قد تم نهاراً.

هذه تأملات فى عيد الغطاس المجيد والدروس المستفادة من هذا العيد المجيد، مدعمة بتعاليم الآباء القديسون، وعلاقة ممارسة طقس اللقان فى الأحتفال بعيد الغطاس. مادة هذا الكتاب هى عبارة عن عظات القاها أبينا صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا ابرآم أسقف الفيوم ورئيس دير الملاك غبريال بجبل النقلون بمناسبة عيد الغطاس المجيد. وقد قامت لجنة النشر بمطرانية الفيوم ـ من الآباء الكهنة والشمامسة والمكرسات والاخوات ـ بتفريغ الشرائط وإعداد المادة العلمية للنشر فى كتاب، لكى يكون هناك استفادة من هذه المحاضرات القيمة، ذلك بمناسبة احتفال إيبارشية الفيوم باليوبيل الفضى لسيامة أبينا نيافة الحبر الجليل الأنبا ابرآم أسقفاً لإيبارشية الفيوم (2 يونيه 1985 ـ 2 يونيه 2010م) طالبين من الرب أن يمنح

نيافته موفور الصحة والقوة والنعمة فى خدمته المباركة. كما تشكر لجنة النشر كل من شارك فى إعداد هذا العمل، طالبين من الرب أن يعوض الجميع أجراً سمائياً.

لجنة النشر

2 يونية 2010م
25بشنس 1726ش

عيد الغطاس هو أحد الأعياد السيدية الكبري ويعد في المرتبة الثالثة حيث يسبقه في الأهمية عيد القيامة وعيد الميلاد .

الاحتفال بالعيد ليلاً تكريماً وابتهاجاً بهذا العيد ولكي يحتفل به كل الشعب فهذا ترتيب كنسي وليس له علاقة بتاريخ الغطاس الذي ولابد أن يكون قد تم نهاراً .

تاريخياً السيد المسيح لم يتعمد بعد عيد الميلاد بإثني عشر يوماً لأن الغطاس كان في العام الثلاثين من ميلاد المسيح ولكن أرادت الكنيسة بترتيبها الروحاني أن تجمع كل الأعياد الخاصة بالعهد الجديد في عام واحد

تسميات عيد الغطاس

(1) الثيؤفانيا:" أي عيد الظهور الإلهي (ثيؤ بمعني الله – فانيا بمعني ظهور) وذلك تذكاراً لعماد السيد المسيح له المجد وظهور وإعلان سر الثالوث المقدس ...فالآب استعلن بصوت والابن قائم علي الأردن في الماء بجسده مرئي . وأيضاً الروح القدس ظاهراً بهيئة جسمية في شكل حمامة واستقر عليه ... لذلك نسمع في كاثوليكون عيد الغطاس " فان الذين يشهدون في

السماء هم ثلاثة الاب و الكلمة و الروح القدس و هؤلاء الثلاثة هم واحد (1يو 5 : 7).

(2) الأبيفانيا : قد اعتاد الآباء أن يطلقوا اسم " الأبيفانيا " علي عي الغطاس وهي كلمة يونانية بمعني " ظهور – أعلان " .

(3) الغطاس: حيث قبل فيه رب المجد المعمودية بالتغطيس ..وجميل أن تسميه الكنيسة عيد الغطاس لتأكيد أن المعمودية بالتغطيس ..

(4) عيد الأنوار: كما كان هذا العيد يُسمي أيضاً بعيد الأنوار(نور اعلان لاهوت يسوع المسيح) وقد أطلق هذا الاسم القديس غريغوريوس النزينزي قائلاً " هذا اليوم المقدس هو عيد الأنوار نعيده بالاحتفال لأن فيه اعتمد المسيح (النور الحقيقي) الذي ينير لكل إنسان آت إلي العالم " (عظة 39)..كما يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات " إذ بلغنا هذا السر (المعمودية والغطاس) بلغنا الإستنارة "

وقد كانت الكنيسة ترمز إلي مفهوم الأنوار الإلهية بالشموع الكثيرة في طقس هذا العيد في البيوت أيضاً حتي أن بعض الكنائس الغربية أطلقت عليه اسم " عيد الشموع " .

عيد الغطاس تاريخياً:

جاء في الدسقولية(تعاليم الآباء الرسل) أن هذا العيد يرجع تاريخه إلي عصر الآباء الرسل، كما يلي:" ليكن جليلاً عندكم عيد الأبيفانيا لأن فيه بدأ الرب يُظهر لاهوته في معموديته في الأردن من يوحنا وتعملونه في الشهر الخامس للمصريين " الحادي عشر من شهر طوبة " (دسق باب 18 اً عربي)

كما جاء بالدسقولية أ يضاً " لا تشتغلوا في عيد الحميم (الغطاس) لأن فيه ظهرت لاهوتية المسيح وشهد له الآب في العماد ونزل عليه الروح القدس بشبه حمامة وظهر الذي شهد له القيام أن هذا هو الله الحقيقي وابن الله " (رسطب 66 . المجموع صحيفة 197) .

علاقة عيد الميلاد بعيد الغطاس: كان عيد الغطاس يُحتفل به في يوم واحد مع عيد الميلاد وكان يُطلق عليهما " عيد

الأبيفانيا " لأن لكليهما معني الظهور الإلهي . وذلك حتي قُرب نهاية القرن الرابع ويشهد لهذا القدديس يوحنا ذهبي الفم في عظة شهيرة بتاريخ (386 م) ويقول فيها أن العيدين كانا إلي سنين قليلة خلت في أيامه تعيدهما الكنيسة معاً ..كما يقول في نفس العظة في أن السبب في إطلاق لقب"عيد الظهور الإلهي" علي الغطاس دون الميلاد بعد الانفصال هو أن الرب في الغطاس استعلن للجميع في حين أنه في ميلاده ظل مخفياً عن الجميع .

كما يشهد لذلك أيضاً القديس يوحنا كاسيان (350 – 435 م) الذي يشهد أن المعمودية والميلاد كان يحتفل بهما في مصر في يوم واحد .

كما أن كثيرين من الآباء اللاهوتين العظام مثل غريغوريوس النيزينزي يطلقون علي الغطاس " الأبيفانيا الثانية " باعتبار أن الأبيفانيا الأولي هي الميلاد نفسه ؟

عيد الغطاس والامبراطور ثاؤدوسيوس: توجد إشارات في سجلات الامبراطور ثاؤدوسيوس الكبير (القرن الخامس) تفيد توقف أعمال دور المحاكم والاحتفالات العامة ودور

التمثيل والملاهي كعطلة رسمية للدولة وذلك يومي الميلا والغطاس.

كما توجد أشارات كثيرة في تاريخ الكنيسة تفيد بأصالة عيد الغطاس، علي سبيل المثال لا الحصر، ما ذكره البابا أثناسيوس الرسولي والقديس أغسطينوس والقدييس باسيليوس الكبير وغيرهم الكثيرين، عن هذا العيد وأهميته.

دروس مستفادة من الغطاس

لقد ظهر مجد الله يوم الميلاد العجيب، حيث تجسد الابن الحبيب، كما ظهر أيضاً يوم التجلي الفريد حيث صار وجه رب المجد أشد لمعاناً من الشمس، وصارت ثيابه بيضاء، وإستعلن لاهوت المسيح. كما رأينا أيضاً مجد القيامة، والظهورات المتعددة للرب يسوع. كذلك فى صعود رب المجد إلي السماء ... رغم كل هذا المجد الظاهر في المناسبات السابقة نجد أنه لم يُطلق علي مناسبة منها اسم الظهور الإلهي، بينما أُطلقت علي مناسبة عماد رب المجد من يوحنا. وهذا دافعاً قوياً لنا لكي نتأمل ونتعلم من هذا العيد دروساً.

انفتاح السماء: يقول الإنجيل المقدس: " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السماوات قد انفتحت له "(مت 3: 16).

لقد أُغلق الفردوس بعد سقوط أبينا آدم، ولم يعد لأحد أن يفتحه. واليوم في مناسبة الغطاس نجد السموات قد انفتحت. نعم لقد كان هذا الانفتاح بالتبعية لأجلنا، وإنشقاق السماء يعني زوال الحاجز بين الله والناس، ولكن لم ننل هذا إلا بعد الصليب والقيامة حتي تم الفداء علي أكمل صوره .لأن السيد المسيح هو الباب والطريق والحياة. وهو الذى قال: " من الان ترون السماء مفتوحة (يو 1 : 51). وتتابعت الكلمات في العهد الجديد نتيجة لذلك الانفتاح السمائى، فيقول عنه القديس اسطفانوس:" ها انا انظر السماوات مفتوحة و ابن الانسان قائما عن يمين الله (أع 7 : 5). والرسول يوحنا في سفر الرؤيا يقول " بعد هذا نظرت و اذا باب مفتوح في السماء (رؤ 4 : 1). كما يضيف أيضاً قائلاً: " ثم بعد هذا نظرت و اذا قد انفتح هيكل خيمة الشهادة في السماء (رؤ 15 :5)

إن انشقاق السماء يعني بداية عصر جديد، يقول سفر الرؤيا " ثم رايت سماء جديدة و ارضا جديدة لان السماء الاولى و الارض الاولى مضتا و البحر لا يوجد فيما بعد (رؤ 21 : 1)

إن انشقاق السماء يعني زوال الحاجز بين الله والناس، أي غفران خطاياهم بالمعمودية. إن انشقاق السماء وظهور الثالوث القدوس يعنى بدأية حياة جديدة للشخص المعمد من خلال فعل الصليب فى سر المعمودية.

فى ذلك يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم: " لماذا انفتحت السموات ...؟! ليخبرك أنه عند العماد يحدث هذا أيضاً ليدعوك الله إلي وطنك الحقيقي في السماء، ويقنعك أنه ينبغي أن لا يكون ارتباطك بالأرض، فإذا رأيتها بعينك لا تشك فيها أبداً ".

كما يعلق القديس غريغوريوس النيزينزي: " عندما يصعد يسوع من الماء، فيُصعد معه العالم كله (حاملاً البشرية كلها معه) ويري السموات مفتوحة، بعد أن كان آدم قد أغلقها دونه ونسله من بعده ...".

معرفة ذواتنا وحقيقتنا: لقد عرف الشعب حقيقته أنه خاطئ فاعترف واعتمد. وشعر يوحنا المعمدان (رغم امتلاؤه من الروح القدس وهو في بطن امه) بعدم استحقاقه للوقوف أمام رب المجد، كما سبق لأمه أليصابات أن شعرت بعدم استحقاقها للوقوف في حضرة السيدة العذراء قائلة لها " من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي " (لو 1 : 43)...لكن ماذا عن الفريسيون والصدوقيون فقد كانوا في أشد الحاجة إلي التوبة والإغتسال للتطهر من ذنوبهم ولكنهم لم يتعمدوا وكان مجيئهم إلي معمودية يوحنا إنما هو حباً في الظهور شأنهم شأن الذين يسعون لكي يكون لهم في كل مناسبة المتكأ الأول لذلك لم يستفيدوا بالفرصة المتاحة لهم. ليتنا لا نكون مثل هؤلاء الفريسيون والصدوقيون فلا نأتي إلي الكنيسة إلا للصلاة والعبادة والإتعاظ ولتقديم توبة حقيقية عن خطايانا، ولا يكون مجيئنا ليقول عنا الناس إننا متعبدون وحتي نحصل علي أمجاد لذواتنا. ليتنا نأخذ روح ذلك القديس الذين بقدر ما اقترب من المسيح بقدر ما يشعرون بخطاياهم وضعفاتهم.

الصلاة للمحافظة علي الغطاس: " و لما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع ايضا و اذ كان يصلي انفتحت السماء " (لو 3 : 21). فبعد العماد كان رب المجد يصلي علي ضفاف الأردن.

لم يكن السيد المسيح يصلي كغيره من البشر الذين تعمدوا معترفين بخطاياهم، كلا فهو قدوس بلا شر. ولكنه كان يصلى صلاة الشركة مع أبيه وروحه القدوس. هذه الصلاة ليست دليلاً علي إنفصال الابن عن الآب وعن روحه القدوس إنما هي بمثابة الدخول في الأحضان الأبوية. فهو لم يصلي إلي آخر خارجاً عنه، بل إلي الآب الذي هو واحد معه، وهو في الآب والآب فيه، ومن رآه فقد رأي الله. فصلاة السيد المسيح كانت بمثابة علاقة الشركة الداخلية والحب بين الأقانيم الثلاثة.

لقد كانت صلاة السيد المسيح أيضاً لكي نقتدي بها نحن، حتي نتقوي في ضعفاتنا وننتصر في ضيقاتنا. لقد جُرب السيد المسيح من إبليس بعد العماد مباشرة ـ وكان السيد المسح بعد العماد مباشرة يصلي ـ وانتصر رب المجد، وأعطى إمكانية النصرة للبشرية كلها فى مقابل انهزام إبليس. ليتنا نستعين بالصلاة حتي ننتصر ونغلب .

التوبة والإتضاع: هما سر معرفتنا بالسيد المسيح ... فالقديس يوحنا المعمدان قال عن نفسه " لم أكن أعرفه " وقال عن الشعب أيضاً " الذي لستم تعرفونه" (يو 1 : 26). فأمام أتضاع يوحنا المعمدان الذى قال: " إني لست مستحقاً أن أحل

سيور حذائه "، وأيضاً عندما أتضع الشعب من خلال اعترافهم بخطاياهم وقبولهم لمعمودية التوبة، نجد أن الروح القدس نزل لكي يعلن عن السيد المسيح ويُعِّرف به يوحنا والشعب أن : " هذا هو حمل الله الذي يحمل خطية العالم كله ".

لكن يحضر في ذهننا سؤال كيف أن يوحنا المعمدان الذي قال " وأنا لم أكن أعرفه " ورغم ذلك نجده يقول للسيد المسيح قبل عماده " كيف تأتي إلي وأنا محتاج أن أعتمد منك " ..للإجابة علي هذا نقول أن القديس يوحنا المعمدان كان يعرف السيد المسيح بالتأكيد لأنه قريباً له . فقد كان يعرف عنه أنه شخصاً صالحاً مملوء بالفضائل، حتي ظنه بتواضعه أنه أفضل منه وهو غير مستحق لعماده. ولكن القديس يوحنا المعمدان لم يكن يعرف السيد المسيح من خلال لاهوته، رغم نسكياته وزهده وتقشفه ومعيشته في البرية. لكن من خلال توبته وإتضاعه عرف السيد المسيح. بل أن الروح القدس هو الذي ارشد يوحنا المعمدان، فيقول الإنجيل المقدس: " والذي أرسله هو الذي أخبره أن الذي تري الروح القدس نازلاً ومستقراً عليه هو هو".

أستعلان سر الثالوث في العماد: إن ظهور الثالوث القدوس في العماد، بجانب أنه برهان قوي علي صحة الاعتقاد بالتثليث المسيحى، نجد أن ظهور الثالوث القدوس في بداية مباشرة السيد المسيح لوظيفته علي الأرض، يعنى شدة إهتمام الثالوث المقدس بأمر فدائنا وخلاصنا من الخطية والهلاك. فهذا من شأنه أن يعزينا وينشطنا في أوقات الاضطراب والأحزان، ويقوي عزمنا في ساعات الارتياب وضعف الإيمان. ويشجعنا في محاربتنا الروحية للعالم والجسد والشيطان . لنتيقن أنه ولو كان أعداء أنفسنا أقوياء وشديدي البأس، فإن الرب يسوع أشد بأساً وأعظم منه اقتداراً . وأنه وإن لو كان إبليس وأعوانه علينا فالله الواحد الجوهر المثلث الأقانيم معنا.

ظهور الروح القدس مثل حمامة: يعلق القديس يوحنا ذهبى الفم في شكل حمامة قائلاً: " أما الحمامة التي ظهرت في ذلك الوقت كانت بمثابة أصبع الله يشير للحاضرين، وليوحنا، مبيناً يسوع – أنه هو المسيح ابن الله ... وليس ذلك فقط بل أنها أيضاً تعلمك أنه في لحظة عمادك يكون الروح القدس حاضراً. الحمامة مخلوق رقيق نقي، ولأن الروح أيضاً روح الوداعة فقد ظهر علي شكل الحمامة الوديعة النقية... وإلي جانب ذلك فأنه له المجد يذكرنا بتاريخ قديم ففي زمان الطوفان عندما كان

الجنس البشري كله مهدداً بالفناء، فإن هذا المخلوق ظهر وكان علامة علي أن الطوفان قد انتهى، وكان يحمل غصن الزيتون مبشراً بالبشري السعيدة بعودة الهدوء إلي العالم أجمع وبالسعادة الأبدية".

كان ظهور الروح القدس في شكل حمامة، مثالاً للطهارة والوداعة، فالروح القدس يلقب بالروح الوديع الهادىء (غلا 6 : 1).

كان ظهور الروح القدس في شكل حمامة، لكي يذكرنا بحمامة نوح التي أتت بغصن زيتون، علامة حلول السلام وإنهاء عصر الطوفان. وهذا رمزاً لخلاص البشرية من اليأس والموت (الجسدي)

كان الظهور في شكل حمامة، إشارة إلي تجديد الخليقة. فالحمامة التي ظهرت في العماد لم تحمل غضن الزيتون في فمها، بل حملت نعمة الروح القدس والتبني والشركة لكل العالم .

الرقة في الكلام: فنجد السيد المسيح يخاطب عبده يوحنا قائلاً " اسمح الآن – يليق بنا ...". والقديس يوحنا المعمدان يقول " أنا محتاج ... لست مستحق ...". ليتنا نتعلم نحن البشر هذه

اللغة من الرقة والأدب في معاملاتنا مع الناس لكي نربحهم ونكسبهم .

غاية عماد السيد المسيح

بعد أن تعمد كل الناس من يوحنا واعترفوا بخطاياهم جاء الرب يسوع إلي يوحنا يريد أن يعتمد منه بمعمودية التوبة. إن الرب يسوع هو وحده بلا خطية، الذي لم يرتكب خطية، فيقول بفمه الطاهر " لان رئيس هذا العالم ياتي و ليس له في شيء (يو 14 : 30) . أيضاً قال: " من منكم يبكتني علي خطية " (يو 8 : 46). فهو وحده اذى بلا خطية، وهو غير محتاج للمعمودية. لذلك عندما رآه يوحنا مقبلاً إليه قال أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي. معني ذلك أن يوحنا كان يفهم جيداً أن السيد المسيح لم يكن محتاج إلي معمودية .

فما هو السبب وراء معمودية السيد المسيح؟!. يمكننا أن ننجز الأسباب على النحو التالى:

1. **تكميل كل بر:** وذلك بناء علي إجابة السيد المسيح " الآن لأنه ينبغي بنا أن نكمل كل بر "... البر هو تتميم

الوصايا والسيد المسيح قد جاء لينزع اللعنة التي تسببت من التعدي علي الوصية .

كان من الواجب علي البشر أن يجتمعوا علي إتمام البر، ولكن إذ لم يوجد واحد يتممه أو يضاعفه، أتمه السيد المخلص ومن ضمن ذلك، حضوره وعماده من يوحنا، فالسيد المسيح أكمل في العماد " بر التوبة، و بر الإتضاع، وبر الطهارة والقداسة... ".

2. **نائب عن البشرية** : لقد اعتمد السيد المسيح بصفته ممثلاً لجنس البشرية الخاطئة ، فهو اعتمد بمعمودية التوبة نيابة عنهم . لقد وقف السيد المسيح أمام يوحنا المعمدان، كنائب عن البشرية.

إن أبونا أدم وأمنا حواء وقايين لم يستطيعوا أن يقدموا توبة أو يعترفوا بخطئهم . كانت مشكلة الإنسان أنه لم يستطع أن يتوب ويقول أنا مُخطىء، فجاء السيد المسيح نيابة عنا، كما قال إشعياء بروح النبوة " كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه و الرب وضع عليه أثم جميعنا (اش 53 : 6). وهذا يوضح أن الرب يسوع البار القدوس الذي بلا خطية أتي ليحمل خطايا العالم كما قال يوحنا " هوذا حمل الله الذي يرفع

خطية العالم (يو 1 : 29). فقد أتي السيد المسيح نائباً عن آدم وبنيه، أتي مندوباً عن الخاطئ، وقد وضح القديس بولس الرسول ذلك بقوله " لانه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه (2كو 5 : 21)، وهناك فرق بين يعرف خطية، ومن يفعل خطية. فالأولي دليل علي أن السيد المسيح لم ولن يفعل خطية.

3. **تطهير الماء:** لقد تعمد السيد المسيح لكي يقدس ويطهر الماء، ويؤسس سر المعمودية. لذا نصلي في صلوات لقان عيد الغطاس " قدس هذا الماء وامنحه نعمة الأردن ". الماء الذي كان رمز للموت بالطوفان أصبح رمز للحياة. في ذلك يقول القديس أمبروسيوس في تفسيره لإنجيل لوقا: «اعتمد الرب ذاته... لم يعمد ليطهر، وإنما ليُطهر الماء، فإذ نزل إليها المسيح الذي لم يعرف خطية صار لها سلطان على التطهير، بهذا كل من يدفن في جرن المسيح يترك فيه خطاياه.»... اعتمد لكي يبارك طبيعة المياه

اعتمد السيد المسيح ليرسم لنا طريق المعمودية المسيحية حتى لا يستكبر أحد من النزول إلي المياه عارياً ... تعمد السيد

المسيح لكي يعرفنا أن مواهب الروح القدس تحل علينا عند المعمودية للولادة الجديدة.

في ذلك يقول أيضاً القديس كيرلس الأورشليمى:" فإن لم يتلق أحد العماد فلا يستطيع أن يحصل علي الخلاص، فلقد قدس الرب يسوع العماد عندما اعتمد هو نفسه، فإن كان ابن الله قد اجتاز المعمودية لا لكي يحصل علي مغفرة الخطايا، إذ انه هو بلا خطية وحده فالمنزه عن الخطية نال المعمودية لكي يمنح المعمدين النعمة الإلهية والكرامة ." فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما"(عب 2 :14).

لقد شرف السيد المسيح المعمودية وذلك بقبوله إياها علي يد يوحنا المعمدان، فكانت أول سر من أسرار الكنيسة السبعة وحيث أن يسوع رضي أن يعتمد فلا يمكن أن تكون المعمودية شيئاً عديم الفائدة لا طائل تحته بل وسيلة للحياة الجديدة والبركات السماوية.

4. **تعمد لحسابنا**: ما حدث في عماده كان لحسابنا إذ يقول القديس كيرلس الكبير مؤكداً : «حلّ أولاً على المسيح الذي قبل الروح القدس لا من أجل نفسه بل من أجلنا نحن البشر لأننا به وفيه ننال نعمة فوق نعمة... والآن

أخذنا المسيح مثلنا الأعلى، فلنقترب إلى نعمة العماد الأقدس... فيفتح لنا الله الأب كوى السموات ويرسل لنا الروح القدس، الذي يقبلنا كأبناء له، فان الله الأب خاطب المسيح في وقت عماده المقدس كأنه به وفيه قد قبل الإنسان الساكن الأرض، معلنًا بنوة الجنس البشري بالصوت الحلو القائل: " أنت ابني الحبيب بك سررت" (لو 3: 22)".

5. **تكريس السيد المسيح** : لكي يكرس نفسه رسمياً وطقسياً لكي يكون رئيس الكهنة. هذا ما كان يحدث في العهد القديم عند مسح الكهنة والملوك والأنبياء وذلك بالاغتسال في مياه الاردن والمسح من الروح القدس. هكذا تنبأ إشعياء النبي في القديم عن السيد المسيح "روح السيد الرب علي لان الرب مسحني لابشر المساكين ارسلني لاعصب منكسري القلب لانادي للمسبيين بالعتق و للماسورين بالاطلاق (اش 61 : 1) وهذا ما قرأه السيد المسيح في المجمع هى نفس النبوة التى جاءت فى (لو 4 : 18). لقد شهد المسيح في نفس المناسبة " فابتدا يقول لهم انه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم " (لو 4 : 21)

6. **لكي يرفع الشك عن يوحنا:** إن عماد السيد المسيح وشهادة الآب من السماء، وظهور الروح القدس في هيئة حمامة، قد رفع كل شك وإشكال للذي قال " وانا لم اكن اعرفه لكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت اعمد بالماء (يو 1: 31). هكذا هو مكتوب أيضاً " لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا و مستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس (يو 1 : 33)

إن يوحنا المعمدان كان نسيباً للمسيح بالجسد ولكي يرفع توهم من يتوهم أن يوحنا يشهد للمسيح بسبب القرابة له، فقد دبر الروح القدس أن يتربى يوحنا في البرية منذ نعومة أظفاره، وكل شئ عرفه هو من الله، ولهذا تكلم قائلاً: " لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس (يو 1: 33). ومن المحتمل نتيجة لكلام يوحنا " وأنا لم أكن أعرفه " أن يكون يوحنا المعمدان لم يلتقي السيد المسيح في سن الرجولة بسبب مكوثه في البرية ربما يكون قد سمع عنه. لأنه لو كانوا قد تقابلوا لعرف يوحنا السيد المسيح، كما عرفه وسجد بابتهاج وهو في بطن أمه. كما عرفه أيضاً عندما وقف يسوع أمامه قبل العماد ودون أن يتفوه السيد المسيح بأي كلمة نجد القديس

يوحنا المعمدان يقول " أنا محتاج أن اعتمد منك ..". فما الذي حدث وقتها هل هو إعلان إلهي من الروح القدس ليوحنا المعمدان؟.هل منظر السيد المسيح ونظراته التي نفذت إلى أعماق يوحنا المعمدان؟! أم أن القديس يوحنا المعمدان قد سمع كثيراً وهو في البرية عن السيد المسيح وكان قد استعد في أعماقه أن يراه ...أم كل ما سبق جعله يتخلي عن صرامته وجفوته وانخفضت عيناه الناريتان وجعلت ذاك الذي وبخ الملوك وعنف الفريسيين والعظماء وقف مذهولاً وقد أصابته الخشية ودخلته الرهبة من الواقف أمامه. ربما سابقاً لم يكن يوحنا يدري ما إذا كان المسيا موجوداً علي الأرض أم سيجئ من السماء بقوة ومجد عظيم. لكنه أحس بروح التأثر العميق في حضرة السيد المسيح.

لقد اعتمد السيد المسيح ليظهر ذاته ليوحنا المعمدان حتى يشهد له لأن يوحنا هو الملاك المرسل ليهيئ الطريق أمامه (مت 11 :10) وهكذا شهد يوحنا قائلاً بعد عماده للسيد:" وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"(يو1 :34)

7. **لكي يكرم يوحنا ومعموديته**: لقد سأل السيد المسيح اليهود قائلاً: " معمودية يوحنا من أين كانت من السماء ام

من الناس ففكروا في انفسهم قائلين ان قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به (مت 21 : 25). "معمودية يوحنا من السماء كانت ام من الناس اجيبوني (مر 11 : 30).

مما سبق يتضح أن معمودية يوحنا كان عليها خلاف والسيد المسيح أراد بعماده أن يشهد لمعمودية يوحنا أنها من السماء.

القديس يوحنا بشهادة الكتاب المقدس هو مرسل من الله " كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا" (يو 1: 6) انتم انفسكم تشهدون لي اني قلت لست انا المسيح بل اني مرسل امامه (يو 3 : 28). " انا لم اكن اعرفه لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء " (يو 1: 33) ..فهو رسول من الله لكي يهيئ الطريق ويمهده أمام المخلص فما معمودية يوحنا سوي إعداد وتهيئة لذهن الشعب بالتوبة لقبول الخلاص والفداء الذي يأتي به السيد المسيح .

بناء علي ذلك فمعمودية يوحنا هي بر السماء وقد جاء السيد المسيح ليكملها ... إلي جانب تكريم معمودية يوحنا كان عماد السيد المسيح تكريماً ليوحنا نفسه الكاهن ابن الكاهن.

فأراد السيد المسيح بذلك أن يعلمنا تكريم الكهنة والخضوع لهم حتي وإن كانوا أقل منا فنحن نتقبل منهم البركة والأسرار.

8. **عماد السيد المسيح كان نوعاً من الاخلاء**: قد تعمد السيد المسيح ليس للإمتلاء من الروح القدس لأنه واحد معه ليس الإمتلاء بل مزيد من الإخلاء " أخلي ذاته ..." فكان عماد السيد المسيح نوع من الإخلاء ، نوع من الإتضاع، عمل مما يخص تجسد السيد المسيح وناسوته .
9. **لكي تستعد البشرية لقبول الروح القدس:** حلول الروح القدس علي المسيح لم يكن من أجل المسيح ذاته بل من أجل البشرية التي يحملها المسيح في جسده، لكي تقبل البشرية حلول الروح القدس. قد كتب الوحي عن الروح القدس انه قد نزل أو أتي على المسيح في الأردن، فقد نزل اقنوم الروح القدس بجوهره الإلهى، مثل حمامة على السيد المسيح ليمسحه بمسحة الكهنوت ناسوتياً، حتى يقدم ذبيحة نفسه علي الصليب .
10. **لكي يبدأ رسالته وخدمته**: قبيل اختيار الرسل لمتياس الرسول قال القديس بطرس الرسول هذه العبارة "منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذي ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته (اع 1: 22) وهذا يوضح أن

معموديـة يوحنـا هـي بدايـة خدمـة السـيد المسـيح وإتمـام رسالته، وقد بدأها بالعماد من القديس يوحنا المعمدان.

أقوال الآباء عن غاية عماد المسيح

يقول القديس غريغوريوس النيزينزي: " لقد كان يوحنا يعمد، فـأتي إليـه الـرب يسـوع ...لمـاذا؟! قـد يكـون ذلـك لتقـديس المعمدان نفسه ولكن أيضاً بالتأكيد ليدفن آدم القديم كله في المـاء. ثم قبـل ذلـك ولأجـل هـذا أتي لكـي يقـدس الأردن، ويقدسنا بالروح والماء لأنه روح وجسد (الله المتجسد لأن الله روح).

ويذكر القديس يوحنا ذهبي الفم:" إذا كان السيد المسيح قد جاء لكي يبطل التطهير (معمودية يوحنا) فلماذا اعتمد هو؟!. الجواب حتي لا يقول الناس أنه لم يقدر علي تنفيذ هذه الأمور فألغاها ... لذلك كمل الناموس بقوله " يليق بنا أن نكمل كل بر" .

ويقول أيضاً:" واضح أن نزول الروح القدس عليه في الأردن كان نزولاً علينا بسبب أنه يحمل جسدنا، ولم يكن هذا النزول لرفعة الكلمة اللوغوس بل لتقديسنا نحن، لكي نأخذ من

مسـحته فيقـال عنـا: ألا تعلمـون أنكـم هيكـل الله وروح الله يسكن فيكم "(1 كو 3 : 16).

بين معمودية يوحنا المعمدان ومعمودية السيد المسيح

أما عـن الفـرق بـين معموديـة يوحنـا ومعموديـة السـيد المسيح فقد أوجزها البعض في النقاط الآتية :

1. **المـاء والـروح:** معموديـة يوحنـا كانـت بالمـاء فقـط، وأمـا معمودية السيد المسيح كانت بالماء والروح القدس . أي أن معمودية يوحنـا كانـت تطهـر الأجسـاد فقـط، أمـا معموديـة السيد المسيح فكانت تطهـر الأجساد والأنفس معاً. وهـذا الفرق يورده يوحنـا نفسه بقولـه " وأنـا أعمدكم بماء للتوبـة ولكـن الـذي يـأتي بعـدي سـيعمدكم بـالروح القـدس ونـار "(مت 3 : 11).
2. **المعموديـة والتوبـة:** معمودية يوحنا كانت للمناداة بالتوبة فقـط ولكنـها لم تكـن قـادرة علـي مغفـرة الخطايـا مثـل معمودية السيد المسيح.

ان معموديـة يوحنـا مـن حيـث أنهـا كانـت تُعطـي لاجتـذاب النـاس إلي أعمـال التوبـة، فكانـت المعموديـة تتقـدم

والتوبة تتبعها. أما معمودية السيد المسيح فمن حيث أنها لا تُعطي للذين بلغوا سن التمييز إلا بعد عمل التوبة حيث يقول سفر الأعمال: " توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم المسيح" (أع 2: 38).

3. **طقس متوسط:** ان معمودية يوحنا لم تكن سراً مقدساً بل طقساً متوسطاً بين الناموس والإنجيل مرتسماً من الله لمدة يسيرة .
4. **كانت الرمز:** معمودية يوحنا كانت رمزاً لمعمودية السيد المسيح، أما معمودية السيد المسيح فهي المعمودية الحقيقية. لذلك معمودية السيد المسيح أبطلت معمودية يوحنا لأن الأخيرة كانت رمزاً لها.
5. **محدودة** :ـ معمودية يوحنا محصورة في اليهودية فقط بينما معمودية السيد المسيح ليس لها حدود فهي للعالم أجمع ولجميع الأمم .
6. **كانت وقتية** : معمودية يوحنا وقتية حيث أن المعتمدين فيها أُعيد معموديتهم مرة أخري بمعمودية السيد المسيح بعد إيمانهم به، بينما معمودية السيد المسيح دائمة وحيدة إلي انقضاء الدهر.

الآباء والفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح فى ذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم (**347_407**): " كانت معمودية يوحنا أرفع شأناً من معمودية اليهود، وأقل قدراً من معموديتنا. فهي كالجسد المتوسط، إذ هي تتميز عن معمودية اليهود بكونها لم تقود الناس إلي طهارة الأجساد، إنما كانت تحثهم علي تغيير عوائدهم، وإن يتركوا الرذائل ويتحلوا بالفضائل، فيكون لهم رجاء الخلاص إذا هم عملوا صالحاً، وليس كالمعموديات المختلفة وباقي المياه المطهرة. لأن يوحنا لم يأمرهم بغسل ثيابهم وأجسادهم للتطهير بل كان يأمرهم قائلاً :" اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة".

ويقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات: " لقد عمد يوحنا ، ولكن معموديته لم تكن مثل معمودية اليهود، لأنها لم تقتصر علي الماء ولكنها كانت أيضاً معمودية التوبة ... ومع هذا فهي لم تكن معمودية روحية تماماً لأنه كان ينقصها كلمة " الروح " التي في المعمودية المسيحية ".

العلامة ترتليانوس فى ذلك يقول:" إننا نجد في أعمال الرسل (أع 19: 1ـ 17) أن الذين اعتمدوا من يوحنا لم يكونوا قد أخذوا الروح القدس ولا كانوا سمعوا به. وهذه المعمودية

كانت للتوبة وكمقدمة لمعمودية يسوع المسيح الآتية لترك الخطايا وخلاص وخلاص الأنفس. فإذا كان يوحنا ينادي بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، لم يكن ذلك إلا بالنظر إلي المغفرة اللاحقة لأن التوبة تتقدم والمغفرة تلحقها. تلاميذ المسيح عمدوا (قبل الصليب والفداء) كخدام ويوحنا كذلك عمد كسابق. فتكون معمودية التلاميذ هي معمودية يوحنا نفسها لا معمودية المسيح. وهذه المعمودية لم يكن ممكناً أن تتم وقتئذ من التلاميذ لأن ذلك الوقت لم يكن مجده تعالى قد اتضح تماماً وفاعليته لم تكن قد تأيدت بآلامه وقيامته".

طقس اللقان وعيد الغطاس

كلمة اللقان كلمة سريانية معناها الحوض أو الوعاء، نسبة إلي الوعاء الذي يوضع به ماء في عيد الغطاس. وهذا الماء يُبارك ويقدس ويحمله المؤمنون إلي منازلهم ويشربون منه لنوال البركة والتقديس.

ويحتفل باللقان ثلاث مرات في السنة، الأولى يوم خميس العهد لأن فيه السيد المسيح صب ماء في وعاء وغسل أرجل التلاميذ" ثم صب ماء في مغسل و ابتدا يغسل ارجل التلاميذ و يمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها "(يو 13 : 5).

والمناسبة الثانية، في عيد الآباء الرسل (5 أبيب) وهو يناسب عيد استشهاد الرسولين بطرس وبولس وذلك لتذكيرنا بوصية السيد المسيح: " فان كنت و انا السيد و المعلم قد غسلت ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض"(يو 13: 14)

أما بالنسبة لعيد الغطاس فاللقان مأخوذ من تقديس الماء بنزول السيد المسيح فيه، واللقان ليس عماداً، بل هو بمناسبة عيد الغطاس. فليس له قوة التعميد، لأن المؤمنين سبق

أن تعمدوا. وبمناسبة العماد يُقدس الماء ويُبارك في هذه المناسبة فيصير ماءاً طاهراً ونافعاً لفوائد كثيرة روحية، أيضاً لتبريك البيوت والأشخاص. كما اننا نقبل الاغتسال بالماء المقدس لقبول تطهير الجسد والضمير من دنس الخطيئة حتي أن كثيرين يحتفظون بهذا الماء طول العام للاغتسال منه عقب كل اعتراف، برشم الجبهة والحواس والقلب.

يرجع عمل اللقان بمناسبة عيد الغطاس إلي عصر الكنيسة الأول من حيث الاعتقاد أن الماء المصلي عليه في لقان بالكنيسة له قوة الشفاء والتقديس. في ذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم " في هذه المناسبة التي لذكري عماد المخلص التي فيها قدس طبيعة الماء، اعتاد الشعب عند انصرافه بعد منتصف الليل أن يأخذ معه من الكنيسة جزءاً من المياه المقدسة ويحتفظوا بها. وقد لوحظ أنها تبقي صافية نقية لمدة سنة أو سنتين أو ثلاث سنين".

خاتمة:

كل مرة تعيد الكنيسة للظهور الإلهي (الغطاس) تطرح أمامنا فرصة عظيمة لقبول حقائق كثيرة:

أولاً: تهيئ لنا الاشتراك الفعلي في استعلان لاهوت المسيح كما ظهر علي الأردن حتي يظهر في فكرنا وسلوكنا كاستنارة وانفتاح بصيرة روحانية لمعرفة الحياة الأبدية.

ثانياً تعدنا وبالأخص الخدام لقبول تجديد مسحة الخدمة كشركة في مسحة الرب يسوع التي نقبلها من الأعالي لبدء الخدمة الجهارية .

ليتنا نذكر هذا العيد الجليل، ونذكر فيه المعلم الذي أدهش الجميع بفضائله السامية حيث تقدم في إتضاع ليعتمد من يوحنا المعمدان. إن الرب يسوع هو منبع القداسة والكمال الذي انتظر يوحنا المعمدان قدومه المبارك ليقدم له الوديعة ويسلمه الخزينة التي هي المعمودية بعد أن قام بواجبه كخادم. نرى السيد المسيح يأتي ويلح علي القديس يوحنا ليعتمد منه، لكي ينزل إلي الأردن باحثاً عن جراح آدم ليشفيها ... وكأمه يقول ليوحنا المعمدان .." لقد بدأت المسيرة لقد أخليت نفسي وولدت من عذراء. وهربت من وجه هيرودس وخضعت لمريم ويوسف واحترفت النجارة كمهنة، وسكنت في منزل حقير. والآن أواصل المسير وأحضر إليك كأحد المحتاجين. آتي إليك متضعاً لأنه بإتضاعي ينكسر كبرياء نفوس المتكبرين.

أحني رأسي أمامك حتي أغرس في القلوب محبة التواضع لأنه بدون إتضاع لن تحصلوا علي الخلاص لأن الله يقاوم المستكبرين ويعطي نعمة للمتواضعين.

ليتنا نحفظ طهارتنا التي حصلنا عليها بالميلاد الثاني ليظهر فينا الكمال المسيحي ونحيا في الحياة الروحية فتكون حياتنا هي رسالة المسيح المقرؤة من جميع الناس، رافعين قلوبنا بالشكر للمخلص الحبيب لتواضعه العجيب طالبين منه المعونة والنعمة للمحافظة علي طهارة أرواحنا وأجسادنا التي هي هيكل لسكني روحه القدوس.

الذي له المجد الدائم

آمين